

لقاء قناة الفيحاء بالدكتور إبراهيم الجعفري
بتاريخ 2009/6/24
(مرور سنة على التيار)

المقدم: نبدأ بالذكرى السنوية لانطلاق تيار الإصلاح الوطني.. مفردة الإصلاح عادة تكون رديفة لحالة الخلل والفساد، فما هو الخلل ليكون هناك تيار إصلاح وطني، ونحن على أعتاب سنة من هذا التيار، وما تقييمكم لأدائكم؟

الجعفري: ينطوي مصطلح الإصلاح على مفهومين: إصلاح بالفعل، وإصلاح برّد الفعل على كل ظواهر الفساد، وهو ليس محصوراً كمعادل للفساد ليكون إصلاحاً، لكنه بدأ كمبادرة ونمطية بدايتها الإصلاح.

عندما تنتقل المجتمعات من مرحلة إلى أخرى تبقى تعلق ببدن التجربة، والكثير من ترسبات الماضي التي يجمعها مصطلح الفساد، فلا ينبغي أن نقف مكتوفي الأيدي، ونقول هناك فساد، إنما لا بد من وجود آلية تشكل معادلاً لحالة الفساد، وهو الإصلاح؛ لذلك عُرفت حركات الإصلاح في التاريخ بأن أمام المنعطفات الحادة يقف رُواد الإصلاح، ويشكلون مُعادلاً مجتمعياً؛ لذلك رفع أنبياء الله والأئمة كافة لواء الإصلاح على طول التاريخ، أما مسألة كونه تياراً فهذا يعني أنه لا يقتصر على الحالة النخبوية، وإن كان في العمق ينطوي على حالة نخبوية، لكن لا يقف عند حدود النخبة، إنما يمتد لشمول الحالة الطيفية المجتمعية المتنوعة، والتيار كآلية انبثقت قبل قرابة سنة أو أكثر، لكن كنمطية ورمزيات وشخصيات لم يكن قبل سنة فهو عمل تراكمي نوعي سبق ذلك طويلاً حتى قبل سقوط النظام الدكتاتوري، وفي الوقت نفسه من غير الصحيح أن نمرّ على هذه القضية من دون أن أشير إلى أن الإصلاح ليس حكرًا على تيار ما أو حزب ما إنما هو عملية متسعة لكل القوى الخيرة والشخصيات الخيرة فيجمعها الحرص على إحداث حالة إصلاح، وإنشاء مجتمع صالح كبنية تحتية لدولة القانون الجديدة؛ حتى تنعكس هذه البنية التحتية على البنى الفوقية من أجهزة الدولة والخطاب والرموز والمؤسسات.. نحن نمّد يدينا من موقع الإصلاح لكل الإخوة والقوى والتيارات الأخرى لكي نعمل سوياً من أجل تحقيق هذا الهدف المشترك.

المقدم: ما الخلل الذي رأيتموه حتى تصلحوه؟

الجعفري: الخلل كبير، وقد كان موجوداً قبل سقوط النظام المباد، فلم نرث دولة ذات مؤسسات ونظام وأعراف وما شاكل ذلك، والدولة تشبعت بمختلف مظاهر الفساد، فساد في الجانب التربوي والاجتماعي والفكري والسياسي والأمني وحتى الأخلاقي والمالي؛ لذا نحن الآن بصدد إقامة دولة على قاعدة مجتمعية تشكل بنيتها الفوقية من الدستور تنظيراً والبرلمان والحكومة كمؤسسة من مؤسسات الدولة.

المقدم: كل الكتل والأحزاب ترفع الشعار نفسه أيضاً؟

الجعفري: وهذا شيء مُفرح.

المقدم: من أهم الشعارات التي رفعها تيار الإصلاح الوطني أو هكذا تم التثقيف عليه في البداية: أنه تيار وطني يجمع كل القوى الوطنية، لكن ما رأيناه أنه لم يكن هناك الكثير من الوجوه للانفتاح على القوى السياسية والدينية والقوميات الأخرى في العراق؟

الجعفري: في داخل البنية والهيكلية لتيار الإصلاح هناك تنوع، وإن كانت التجربة في البداية لكن الآخر موجود في تيار الإصلاح، ففي انتخابات مجالس المحافظات في قائمة البصرة كان احد مرشحي التيار سيدة من الصابئة، لكن دعنا نميز بين شوتين شوط تأسيس تيار الإصلاح وشوط التعامل من خارج التيار، فتيار الإصلاح له هوية وليس فاقد الهوية؛ لذلك يجب أن يتعامل مع الذين يؤمنون به كنظرية على مستوى الهيكلية، ويمتد من خلالها إلى الأطياف، في الوقت نفسه يتعامل من خارجه مع القوى الأخرى، ويمدّ اليد، ويتعامل، ويبحث عن المشترك بيننا وبين الآخرين.. لا نزعم أن العراق مختزل في تيار الإصلاح، إن ما نريده هو أن نتعامل ضمن المشترك من منطلق الوعي المشترك مع الآخرين، وإجادة الدور في التعامل على ضوء ذلك المشترك؛ وما يجمعنا مع الآخرين أكثر مما يفرّقنا، فعلياً أن نروج لهذه الثقافة؛ ليتعرف كل طرف على نقاط الالتقاء والاختلاف؛ لأننا عندما نبدأ بالمشترك سنجد أنفسنا أمام فرصة الامتداد على المختلف عليه لتضييقه، وخنقه.

المقدم: يقال: كان الأولى بتيار الإصلاح أن يكون داخل حزب الدعوة الإسلامية؛ لأنه (حزب الدعوة الإسلامية) لا يستحق أن يتشظى إلى أربع أو خمس فصائل.. فما تعليقك على هذه النقطة؟

الجعفري: فكر الدعوة الإسلامية كما وضعه السيد الصدر (رحمه الله) ونظرية الدعوة كعمل كما نظر لها السيد الصدر هي حالة عامة تسعى لمختلف الأنواع، فبدأت فعلاً تتسع لكل الشرائع المجتمعية منذ انطلاقة الدعوة في نهاية الخمسينيات عبر الستينيات والسبعينيات، وعندما قاربنا بداية الثمانينيات أدرك نظام البعث الصدامي المقبور في العراق خطر هذه الحالة، وأن الدعوة تحولت إلى تيار؛ لذلك جاء رد الفعل متناسباً مع فعل الدعوة كحالة تيارية، فحكم بالإعدام ليس فقط على المنضويين تحت لواء التنظيم إنما جاء في 1980/3/31 الحكم بالإعدام على كل من ينتمي لحزب الدعوة الإسلامية، أو يؤمن بأفكاره، ويعمل من أجل تحقيق أهدافه،

ويتعاطف معه بأثر رجعي، وهذا يعني أن النظام المقبور استهدف الحالة التيارية للدعوة وليس فقط المنتمين لتنظيم الدعوة..

المقدم: الدكتور الجعفري يتكلم بلغة عالية جداً، ويتكلم بلغة (المشحوف بالهور) فحتاج أيضاً إلى لغة وسطية؛ حتى تستطيع أن توصل خطابك؟

الجعفري: أنا أستوحي لغة الثقافة من شعبي، فهذا (الهور) هو مهد الحضارة البشرية كلها، ومن يُمعن النظر دقيقاً بشعره وأدبه وألفاظه سيجد فيه خصوبة، ومعاني حضارية رائعة جداً، ولو تكلف العناء قليلاً سيجده يؤثر فيك قبل أن تؤثر فيه، فأنا أستوحي الخطاب الثقافي من طبيعة شعبي، وأقول: كل شيء من حولنا قائم على ثقافة أهداف أو تحديات، وكل هدف مخلص يقوم على ثقافة، وكل ظاهرة خطيرة تقوم على ثقافة مضادة، فالمذهبية ثقافة تتكامل والطائفية ثقافة سيئة.

المقدم: الخلل الآخر الذي أود أن يتجاوزه تيار الإصلاح هو إن هناك عدم قدرة على فرز المفسدين، فالأحزاب ليست ملائكة، وهناك أناس مفسدون، أليس هناك ضوابط داخلية لمحاسبتهم..

الجعفري: الأحزاب الجيدة لا تعني أنها أحزاب جيدون، والحزب النموذجي لا يعني أن أفراده نموذجيون، إنما يُحكّم عليه من خلال الحركة الإجمالية له، فحتى عندما نعمل في حكومة نموذجية وعبقرية وحكومة المهمات الصعبة لا يعني أنها حكومة عباقرة.. إنما الحركة الإجمالية التي تكمن في مستوى التحدي هذا هو المطلوب.

المقدم: وفي تيار الإصلاح؟

الجعفري: التجربة في تيار الإصلاح لاتزال حديثة، وحينما وقفنا على نقطة ضعف عند شخصية معينة، وإن لم تكن حالة نوعية تستدعي الإقصاء اعتمدنا مبدأ المصارحة بشكل بناء؛ حتى لا نسقط من يُشتبه به، وإنما نرتقي به لأن ينسلخ من الخطأ، ويرتقي إلى الحركة الإجمالية لتيار الإصلاح.

المقدم: يقال: إن شعبية الأحزاب الشيعية بدأت تضعف بسبب أدائها السياسي.. كيف يمكن تجاوز هذه الحالة في الانتخابات التشريعية القادمة؟

الجعفري: وجود عنصر مُخل لا ينسحب على الكيان كله.. أعتقد أن فيه قدراً من التطرف، فمثلاً ريتشارد نيكسون عندما سقط في الرئاسة الثانية في أميركا لم يسقط الحزب، وقد جاء ريتشارد نيكسون بفوز عالٍ في الدورة الأولى، وأكملها وبدأ المرحلة الثانية، ثم صارت ووتر غيت، وكلينتون عندما أثرت حوله قضية مونيكا لويس كسب الجولة أخيراً، فأرجو أن لا نحكم على كل حزب وكل حركة وكل تيار من خلال

شخص أو شخصين أو ثلاثة، وهذا الأمر موجود حتى في صحابة النبي الأكرم (ص) فالقرآن الكريم نبه عليهم، (الثلاثة الذين خلفوا) وأشار إليهم لوجود خلل فمن غير الصحيح أن نحكم على المجموع من خلال شخص أو شخصين أو ثلاثة نعم عندما تكثر الحالة السيئة بحيث تكون هي الصفة الغالبة عندئذ حتى إذا بقي أناس صالحون في داخل هذا الكيان، وغلب عليهم الفساد انتهى الكيان كله، هذه النقطة يجب أن نضعها في الحساب.

المقدم: وماذا يقول الواقع ؟

الجعفري: في تصوري نحن نحتاج إلى تقاليد جديدة، تقليد ليست بمعنى الموروث الاجتماعي الأعمى، بل الممارسة الواعية التي ينبغي أن نتعاطاها بشكل مستمر، وهو أن نُجري دائماً حسابات وتقييماً وتدقيقاً، وهذا لا يتنافى مطلقاً مع الثقة في كل حزب وكل حركة وكل تيار.. أوجه ندائي إلى جميع الأحزاب والحركات بأنها عندما ترشح شخصاً لمنصب ما عليها أن تتابعه، وتطلب منه كشف حساب. المقدم: يحتاج التغيير أيضاً إلى أداة للتغيير، وهي السياسيون الذين يكونون مثلاً أعلى للناس حتى تقتدي به؟

الجعفري: أميركا أحدثت تغييراً في وقتها لكنها أيضاً وقفت أمام هذا التيار، وهذه الرياح، ووقفت بعض العناصر، وحاولت عرقلة التجربة.

المقدم: يقال: إن الدكتور إبراهيم الجعفري ممن دعوا إلى عودة الائتلاف فيما يتخوف البعض من أن عودة الكتل الكبيرة تعني ابتلاع الكتل الصغيرة أو الأفراد؟

الجعفري: أنطلق في الدعوة من أهمية تعزيز التجربة الوطنية العراقية وإثرائها بالتجربة وتغليب الجانب الوطني والارتقاء بكل القوى إلى الحجم الوطني الممكن، بأفق منفتح على القوى، ونختزل الأخطاء التي حصلت سابقاً.. أعتقد أن القوى التي شكّلت الائتلاف استفادت من الأخطاء السابقة، ومنها الخطاب الذي كان يفتنك بالجانب الطائفي، وحالة المحاصصة، والتمسك بمرشح معين حتى وإن لم يكن كفوءاً، وزج رموز غير مقبولة عند الشارع العراقي. أرجو أن لا نختزل وجهة النظر.. أنا مع تكثيف جهود القوى التي شكّلت الائتلاف سابقاً مع الاستفادة من أخطائها، وتضيف لنفسها، وتفتح أبوابها لكل كفوء ووطني، وتمتد من خلالها إلى حجم الوطنية العراقية.

المقدم: الكتل الأخرى رفعت شعارات تتغنى بمنجزاتها.. ولو عاد الائتلاف العراقي الموحد إلى قواعده فمعظم أبناء التيار الصدري في السجون العراقية، وهناك أرقام مهولة من الأراذل والأيتام والمهجّرين، ولو تنظر إلى الخارطة ستجدها مخجلة ومُزرية.

الجعفري: من الأخطاء التي تشكلت ضعفاً بالذات في داخل الائتلاف هو العقبات التي وُضعت في طريق الائتلاف الوطني.. هذا الذي تفضلت به ليس نابعاً من داخل هذه التجمعات إنما هو نابع من عقبات في الطريق، ونحن مستمرين بمواجهتها من موقع الصمود، ولن نتراجع حتى نتجازها.

المقدم: ما هي منجزات الائتلاف الوطني العراقي؛ حتى ترجع إلى القاعدة لتنتخبك، ماذا تقول؟

الجعفري: لا نستطيع أن نصفّر الجميع؛ حتى لا نغالي بالسلبية، كما أننا لا نستطيع أن نقول: إن التجربة كانت ناجحة.. لقد أشرتُ إلى أن هناك خللاً في تجربة الائتلاف، فالائتلاف كان أكبر كتلة في البرلمان من حيث العدد، لكنه من حيث الأداء لم يكن الأقوى.

المقدم: هناك تغيير جديد سيطراً على الانتخابات القادمة.. ما قراءتك لهذا التغيير وحجمه، وكيف ستكون الخارطة السياسية الجديدة؟

الجعفري: التغيير في الخارطة السياسية يحدث عندما نجد البرلمان في مركبه وطريقة عمله وتشريعاته ومراقبته للسلطة التنفيذية قد أخذ دوراً متكاملًا وحصيفاً بعيداً عن الترصد والتخندق المقابل.. نعم يحصل تغيير عندما نجد المسؤولين يفكرون بهمّ العراق من دون أن تكون هناك محاصصة تختنق فيها هذه الجهة وتلك الجهة، ويحصل التغيير عندما نلمس أن المرأة التي كانت مُقصاة في مرحلة ما قبل النظام المقبور السابق، بدأت تأخذ حجماً متنامياً في مختلف دوائر الدولة.

المقدم: أحمدى نجاد يأخذ راتبه من الكلية، ويسكن في بيته.. لماذا لا يوجد لدينا سياسيون بهذه النزاهة؟

الجعفري: أنا أعرف بعض السياسيين يعطون رواتبهم للفقراء، وأعرف شخصيات تذهب رواتبهم إلى البنك ويعطونها للفقراء المستحقين، من دون أن تمر بأيديهم، لكن غير مُعلن، فصدقة السر خير من صدقة العلن.. أرجو أن لا نزهد بهؤلاء، فهم طاقات خيرة.